

نجم يشيد له التونسيون التماثيل ويكون غيابه

حمادي العقربي

ساحر الأجيال وأحد أبطال ملحمة الأرجنتين الأسطورية

الحبيب مبارك
كاتب تونسي

حين يصبح لاعب كرة القدم معبودا للجماهير تخفق كل الجزيئات البسيطة لتفسح المجال فقط لسماع أو مشاهدة كل ما هو جميل عن هذا النجم أو ذاك. حمادي العقربي، أو كما يحلو لأي تونسي نعتة بـ "ساحر الأجيال"، الذي رحل إلى مثواه الأخير مؤخرا عن 69 عاما تاركا وراءه إرثا وأزنا ونكريات لا تحصى من مخيلة كل الذين جاليلوه وعشقوه، وأولئك الذين سمعوا عنه من أقرانهم.

رحل نجم كرة القدم وملك اللعبة الشعبية والأسطورية. تلك المهبة الفذة التي ولدت من رحم المعاناة وقدمت الكثير لكرة القدم التونسية والعربية. ومن الصعب على التونسيين بمختلف أعمارهم أن ينسوا بطلا من أبطالهم في عالم كرة القدم اسمه العقربي. فحتى الجيل الصاعد والذي لم يواكب الملحمة الأسطورية لجيل 1978 يقر ضمنا بأنه سمع الكثير عنه.

موهبة بالفطرة

تحفظ الذاكرة الشعبية للتونسيين ولحبي كرة القدم العربية خصوصا، العديد من النجوم الذين حفرُوا أسماءهم في كل المدونات وظلت تتلفظ بهم السنة المعلقين مع كل موعد رياضي هام. من هؤلاء جيل 1978 الذهبي الذي قاد تونس في كأس العالم بالأرجنتين وكان من أول المنتخبات التي مثلت العرب وأفريقيا في البطولة العالمية.

ربما هي روايات كتبت وقصص رويت عن المواهب الفذة التي يمتلكها العقربي. كل تفاصيل الحكايات التي تروى عن كوكبه من اللاعبين الأفاضل الذين يقر الكثيرون بأنه يصعب أن يولد جيل مماثل لذلك الذي سجل حضوره في أعلى الدوائر الأوروبية وكان حقا سفيرا للكرة العربية والأفريقية. من هؤلاء العقربي وطارق وعقيد والكعبي وتيمم ونويب وعميش والقاسمي وعنوقة والنابلي وغيرهم الكثيرين الذين كانوا أبطالا دونيا أسمائهم باحرف من ذهب في سماء بونينس آيرس ذات يوم.

ربما تختلف الأسماء ويصعب على الأجيال الحالية نطقها، لكن مدلولاتها تبقى راسخة في الأذهان ولا يمكن أن تضي من مخيلة أي لاعب كرة قدم في تونس. أسماء لجيل ذهبي ولد في زمن صعب ويعسر فيه العُور على فترات (مواهب أو استثناءات) كالتى أنجبت تونس في نهاية السبعينات. جيل ذهبي بكل ما تحمله الكلمة من أوصاف وما تبغله من معنى.

هو واحد من ذلك الجيل، لا بل إنه يعتبر أفضله على الإطلاق لما وهبه إياه الله من حسن كبروي فريد وأخلاق عالية ونشاط منقطع النظير على الميدان. كل الذين زاملوه يعترفون بدمائه الرجل وكل الذين تبذلت قصصاتهم إلى جانبه دفاعا على راية تونس لا يستنكرون عنه كل هذه الصفات تاركين إياها منهم على الخصال النبيلة التي كانت تميز الراحل دون سواه.

يعرف العقربي بكونه لاعبا استثنائيا. لاعب مميز حفر اسمه عاليا في كل الملاعب التونسية والعربية التي جالته قدماءه. هو أحد أفضل لاعبي الوسط الذين أنجبتهم تونس، وهو قائد فريق الصفاقسي في سبعينات وثمانينات القرن الماضي.

عزلة اختيارية

اختفى العقربي عن الأنظار بعدما قرر اعتزال اللعب نهائيا في 1989، وفضل الابتعاد عن كل الأضواء بصفة عامة رغم مسيرته الكروية المتميزة. وعلى عكس بعض زملائه في موندنال الأرجنتين، قرر عدم خوض تجربة التدريب أو حتى التحليل الفني، كما رفض أن يتقلد أي موقع في التسير مفضلا التفرد لعائلته بعيدا عن ضوضاء عالم الكرة.

ولد العقربي، واسمه الأصلي محمد بن رحيمة عام 1951 وبدأ ممارسة الكرة في الشوارع، ليتم اكتشافه عام 1963 من طرف مدرب الصفاقسي حينها اليوغوسلافي ميلان كريستيك، الذي تنبأ له بمستقبل كروي كبير. وبدأت رحلته مع الصفاقسي من خلال فريق الناشئين وتدرج مع كل الفئات تقريبا حتى وصل إلى الفريق الأول وأصبح أهم نجم داخل الصفاقسي.

شارك في أول مباراة مع الفريق الأول للصفاقسي مطلع السبعينات، وبدأ منذ ذلك الوقت مسيرة تالقه ليحصل على الحذاء الذهبي بعد أربع سنوات فقط، لأفضل لاعب في الدوري التونسي، كما توج مع فريق عاصمة الجنوب بثلاث بطولات دوري، وأيضا بكأس تونس.

كان يشغل خطة الوسط الهجومي ويتخطى حاجز الـ 10 أهداف في كل موسم، كما أنه صاحب أول هدف تونسي في تاريخ مسابقات الكؤوس الأفريقية للأندية، عندما سجل هدف التعادل في مرمرى الزمالك المصري ببقاء الأياب في صفاقس.

تالقه الكبير مع فريقه جعله يلتحق بمنتخب تونس ليصبح إحدى ركائزه الأساسية. ليسجل "ساحر الأجيال" عدة أهداف في مختلف المسابقات القارية والعالمية والودية في حوالي 40 مباراة دولية، وكان من بين العناصر التي ساهمت في تاهل منتخب تونس لأول مرة لكأس العالم.

مع النصر السعودي

لم يتوقف العقربي عند حدود تونس، بعد أن تأسق في موندنال الأرجنتين، لتشيده به الصحافة العالمية، ما جعله يتجه للاحتراف في النصر السعودي، كما خاض تجربة احترافية ثانية مع العين الإماراتي وقادته للحصول على لقب دوري الإمارات.

وعن تجربته الاحترافية التي لم تعمر طويلا تحفظ الذاكرة الصوتية للعقربي قوله "لم أكن متحمسا للاحتراف خارج تونس وفكرت طويلا في خوض تجربة بعيدا عن فريقتي. لا يهمني جمع المال بقدر ما يعنيني اللعب والفرجة لذلك كانت تجربتي

لوحات فنية هي الأفضل من بين بقية المنتخبات وكنا نتمنى أن يمتد توقيت المباراة لساعات فقد كنا نشعر بنشوة وبرغبة في اللعب مصدرها الثقة في النفس والإمكانيات البدنية والفنية والذهنية".

ومنذ ذلك الوقت فضل الابتعاد نهائيا عن عالم الكرة حتى أن المشروع الذي اختاره كان بعيدا عن لعبة كرة القدم المحببة لديه، حيث تفر المصارف بأنه افتتح مؤسسة للصور الفوتوغرافية في مدينة صفاقس. ما هو معلوم أن العقربي اعتزل اللعب والكاملا عن الكرة معاً.

ما

جعله

بعيدا عن اللعبة

الشعبية، حتى بعد

صنع تمثال له في قلب

مدينة صفاقس في أكتوبر 2017 باعتباره ساحر الأجيال في كل تونس. وفي تعبير منها عن القيمة التي يحظى بها العقربي قررت إدارة النادي الصفاقسي إطلاق اسم نجمها على المجمع الرياضي للنادي. وقالت إدارة النادي على الصفحة الرسمية للفريق على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك إنها قررت رسميا تغيير اسم مركب النادي الرياضي الصفاقسي إلى مركب حمادي العقربي. كما قدم الرئيس التونسي قيس سعيد واجب العزاء لعائلة الراحل. وأكد رئيس الحكومة السابق إلياس الفخاخ حينها أن ملعب راس ستصبح تسميته الجديدة "ملعب حمادي العقربي" عرفانا بالجميل للراحل وما قدمه للرياضة في تونس.

القيمة الكبيرة التي يحظى بها العقربي دفعت إدارة النادي الصفاقسي إلى إطلاق اسم نجمه الراحل على المجمع الرياضي للنادي، وفقا للصفحة الرسمية للفريق على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك

وكانت مشاركة تونس التي شهدت تالقا لافتا للعقربي مكنت من إضافة منتخب ثان عن قارة أفريقيا في الموندنال التالي في إسبانيا عام 1982.

يؤكد العقربي أن ملحمة المنتخب التونسي في كأس العالم بالأرجنتين جاءت نتيجة لعمل متواصل امتد حوالي أربع سنوات، وترشحت تونس كمثل وحيد عن القارة السمراء على حساب منتخبات أفريقية قوية في تلك الفترة على غرار المغرب ومصر والجزائر ونيجيريا، وشارك العقربي في جميع مباريات المنتخب في نهائيات كأس العالم.

وعنها يتحدث باعتزاز في تسجيل نادر قائلا "كانت قصة رائعة وجميلة للجميع، انطلقت منذ التحضيرات وأجواء السفر والإقامة، لم نشعر بالوقت وتناledi الأحداث وكنا نتمنى أن تتوقف عجلة الزمن عن الدوران. لقد كسبنا الخبرة والنظام بين جميع اللاعبين فوق الميدان وخارجته وقدمنا

كل هذه القرارات كان وقعها إيجابيا على نفوس الجماهير التونسية التي لا تستنكر على العقربي تدوين اسمه ليبقى خالدا، وهو كذلك، في ذاكرة كل تونسي مهووس باللعبة الشعبية الذي كان حمادي واحدا من أبطالها.

اللافت كان في الحجازة المهيبية التي أقيمت للراحل في ملعب الطيب المهيري بصفاقس، ليأتي الشكل مودعا، باكيا، متحسرا ومناديا بأعلى صوت "حمادي.. حمادي" في مشهد امتزجت فيه دموع الفقدان والرحيل بأهات الندم على من لم يعيش لحظة في الملاعب التونسية كان فيها حمادي حاضرا.

برازيلي ولد في تونس

ورغم اعتزاله اللعب في أواخر الثمانينات بعد ملحمة الأرجنتين التاريخية التي خاضها وضمت عليها سنين طويلة أي أن الغالبية الساحقة من التونسيين، وهم من الشباب لم يشاهوه على أرض الملعب، فجل ما يعرفونه عنه منقول عن من هم أكبر منهم سنا أو بعض اللقطات المدونة في الأرشيف أو عبر مواقع

التواصل الاجتماعي، لكن يظل اسم حمادي محفورا في قلب كل كبير وصغير. وفي دلالة على الحب الكبير الذي يحظى به الراحل لم تجد مدينته صفاقس مسقط رأس الراحل مكانا يمكن أن يتسع لعشرات الآلاف من مشيعيه ومحبيه سوى ملعب الطيب المهيري، وهو الملعب ذاته الذي سيظل شاهدا على إبداعه، كما لم يتغيب عن هذا التشييع الكبير لأعوان كبار من الجيل الحالي ومن جيله، من أبناء المنتخب نفسه أو من فرق أخرى، كما حضرت قيادات سياسية وحزبية مختلفة، فيما وقع تايبيه من قبل إلياس الفخاخ داخل الملعب نفسه الذي امتلأ مدرجاته.

حدث مهيب يعكس الشعبية الجارفة التي يحظى بها الرجل والإبداع الكبير الذي جعله يلقب بساحر الجيلين. أي أنه كما يقول عنه نجيب غميش لحظة تايبيه بلغة فرنسية مختزلة "حمادي نجم برازيلي ولد بتونس".

لكن لا بد من استخلاص العبرة وراء هذا التشييع الجماهيري الكبير والمؤثر لفنان في ميدانه وهو عالم كرة القدم بعد معاناة مع مرض السرطان. الرسالة واضحة ولا تحتاج تفسير كون الجماهير الرياضية وهي من عموم الناس لا يمكن أن تنسى من منحها يوما لحظة سعادة في أي مجال كان. وكل من عاش أو لم يعيش الساحر ميدانيا

تبغ عنه شدة ولع الناس به وبفنياته التي لا تجدد على الجماهير الشغوفة بكرة القدم يوما. وأن من عاش سنوات هذه السعادة قادر على إظهار امتنانه ونقلها إلى من لم يعيشها فينتقل الحب من جيل إلى جيل. ما تذكره بعض المصادر أنه في



كل مباراة يخوضها النادي الصفاقسي على أرضه، كان العقربي يُنقل في سيارة خاصة يقوى ضجيجها تلقائيا للفت انتباه الجماهير بأن حمادي سيكون ممثلا في تشكيلة اليوم. محبة الناس تجسدت أيضا يوم الوداع في ملعب الطيب المهيري بصفاقس، حين صدحت الحناجر بالهتافات تشييعا للراحل إلى مثواه الأخير بكلمات فيها من الحب والعرفان الشيء الكثير "بالروح بالدم.. نغديك يا حمادي"، في دلالة تقطع الشك باليقين على المكانة التي يحفظها الجميع لهذا الرجل.

هذه المشاعر التي يكنها الجمهور الواسع للعقربي وتتنوع جغرافيا في تونس غفوية بالضرورة ورغم أن استمرارها ليس مضمونا دائما، إلا أن ما يكشفه متابعون لهذا النجم يؤكد أنه كان معبودا حتى من جماهير الأندية المنافسة لفريقه الصفاقسي. وهنا يتذكر متابعو كرة القدم في تونس جيدا الحادثة الطريفة أمام البنزرتي عندما نال العقربي الورقة الحمراء لتصدح حناجر جماهير البنزرتي رافضة قرار الحكم.

وإذا ما عرّجنا على عالم السياسة قليلا، فإن حب الناس هذا يبدو أكثر تعقيدا، فهو بعيد جدا عن سلاسة وصفاء الحب حين يتعلق بنجوم رياضيين تجد لهم في كل بلد معجبين وعشاقا، أو بأصوات طريفة استطاعت تجاوز حدود أقطارها لتعانق المجد في الأقطار العربية أينما حلت أو حين يتعلق الأمر بممثلين كبار مبدعين في عالم السينما والتلفزيون. لهذه الأسطورة التاريخية في عالم كرة القدم التي زرعت فن اللعبة بين أجيال واسعة سواء ممن جاليلوه أو كذلك من الذين سمعوا عنه وتأسروا بمنجز جيل كامل سبقت خالدا إلى الأبد.



إدارة النصر السعودي، وفي لمسة وفاء ومحاولة للتفاعل مع الجماهير التونسية تبث لقطات على يوتيوب من مباراة الفريق أمام الطائي والتي فاز فيها "زعيم" كرة القدم السعودية 3 - 1 وسجل خلالها العقربي هدفا رائعا

